STUDIES IN ARABIC NARRATOLOGY
PRINT ISSN: 2676-7740 eISSN:2717-0179
www.san.khu.ac.ir

[Downloaded from san.khu.ac.ir on 2024-04-28]

[DOR: 20.1001.1.26767740.2022.4.1.3.8]
[DOI: 10.61186/san.4.53]
Fall & Winter (2022-2023), Vol. 4, No.7, pp. 53-73
Received: 3/11/2022 Accepted: 24/1/2023

Postcolonial Palimpsest as Presented in Radwa Ashour's *A Part of Europe*

Milad Darvishi[1] , *Zohre Naemi*[2] , *Soudabeh Mozffari*[3] , *Soghra Falahati*[4]

Abstract

Postcolonialism, as an approach, examines literary texts from different perspectives some of which are more frequent in academic centers like hegemony, center-periphery, subaltern voice and Orientalism. The components that underpin this approach are considerably divers and dynamic, one of which is palimpsest that can be defines as writing over/on previous writings. Colonizers impose their culture, literature, and language over those of the colonized territories, yet are not able to erase them altogether. Indeed, precolonial cultural products underpin the colonial cultural products. The postcolonial culture of colonized countries is like a container that contains the works of the former natives in addition to the colonial writings. The aim of postcolonial writings, therefore, can be shedding light on these underpinning layers as the cultural identity of indigenous people. This study draws on recent postcolonial approaches, particularly that of Bill Ashcroft, to discover the vanished Egyptian cultural underpinnings in *A Part of Europe* written by Radwa Ashour. The study of palimpsest, an

1. Corresponding Author: Graduate of Arabic Language and Literature, Kharazmi University, Tehran; *mld.darvishi@gmail.com*
2. Assistant Professor, Department of Arabic Language and Literature, Kharazmi University, Tehran; *naemi.zohreh@khu.ac.ir*
3. Associate Professor, Department of Arabic Language and Literature, Kharazmi University, Tehran; m*ozaffari_arabic@yahoo.com*
4. Assistant Professor, Department of Arabic Language and Literature, Kharazmi University, Tehran; *falahati@khu.ac.ir*

© The Author(s).

Publisher: Faculty of Literature & Humanities, University of Kharazmi and Iranian Association of Arabic Language & Literature.

STUDIES IN ARABIC NARRATOLOGY

PRINT ISSN: 2676-7740 eISSN:2717-0179

infrequent concept in postcolonial studies paves the way for new critical readings of the novel. It finds that the novel's narrator by addressing the economic, literary and media palimpsests of the colonial discourse that have undermined those of the natives, attempts to reflect native values and warn readers of the colonial discourse hidden in it.

***Keywords*:** post-colonial criticism, palimpsest, Arabic narratology, Radwa Ashour, *A Part of Europe*

[Downloaded from san.khu.ac.ir on 2024-04-28]

[DOR: 20.1001.1.26767740.2022.4.1.3.8]

[DOI: 10.61186/san.4.53]

دراسات في السردانية العربية
الرقم الدولي الموحد للطباعة: ٧٧٤٠-٢٦٧٦
الرقم الإلكتروني الدولي الموحد: ٠١٧٩-٢٧١٧

دراسة ظاهرة الطِرس ما بعد الاستعمار في رواية قطعة من أوروبا لرضوى عاشور

ميلاد درويشي*[١]، زهره ناعمي[٢]، سودابه مظفري[٣] ،صغرى فلاحتي[٤]

وصول: ٤٠١/٨/١٢ پذيرش: ٤٠١/١١/٤

الملخص

تركز مقاربة ما بعد الاستعمار على الأعمال الأدبية ذات الصلة بظاهرة الاستعمار بمختلف مكوناتها، إنّ بعضها معروف أفضل مما سواه في الوسط الجامعي مثل الهيمنة والمركز- الهامش وصوت المضطهد والاستشراق، لكن المكونات التي تشكل تيار ما بعد الاستعمار متنوعة ومتعددة للغاية، ومن هذه المكونات هي الطرس التي تعني الكتابة على الكتابات السابقة، فالقوى الاستعمارية التي أدخلت ثقافتها وأدبها ولغتها في المستعمرات، تضعها على ثقافة ما قبل استعمار الشعوب الأصلية، غير انه لا يمكنها القضاء عليها كاملاً، وان آثار ثقافة ما قبل الاستعمار لها حضورها تحت الطبقات الاستعمارية، انّ ثقافة ما بعد الاستعمار للدول المستعمرة تشبه جلداً ينطوي على آثار السكان الأصليين فضلاً عن كتابات الاستعمار المتأخرة. ان هدف اعمال ما بعد الاستعمار يمكن ان يتجلى في الكشف عن هذه الطبقات الدنيا وهي بمثابة سجل ثقافي للسكان الأصليين. إنّ الدراسة هذه تحاول وباستخدام الأسلوب التحليلي الوصفي ومن خلال توظيف نظريات المفكرين المتأخرين في مجال دراسات ما بعد الاستعمار مثل بيل اسكرافت ان تخرج الطبقات الدنيا لثقافة المصريين الأصليين التي تم القضاء عليها وذلك في رواية "قطعة من أوروبا"، لرضوى عاشور وتشرحها اعتمادا على المكونات الأقل معروفة في دراسات ما بعد الاستعمار، حتى تخرج بانطباعات وتحليلات جديدة عن هذه الرواية، ان نتائج هذه الدراسة والى جانب خلق فضاء جديد في تحليل ما بعد الاستعمار في الرواية المذكورة أعلاه تبين بان الراوية وبدراسة الطرس الاقتصادي والأدبي والإعلامي لخطاب

١. الكاتبة المسؤولة: طالب الدكتوراه، فرع اللغة العربية وآدابها بجامعة الخوارزمي، طهران، إيران؛ mld.darvishi@gmail.com
٢. أستاذة مساعدة، فرع اللغة العربية وآدابها بجامعة الخوارزمي، طهران، إيران؛ naemi.zohreh@khu.ac.ir
٣. أستاذة مشاركة، فرع اللغة العربية وآدابها بجامعة الخوارزمي، طهران، إيران؛ mozaffari_arabic@yahoo.com
٤. أستاذة مساعدة، فرع اللغة العربية وآدابها بجامعة الخوارزمي، طهران، إيران؛ falahati@khu.ac.ir

الناشر: جامعة الخوارزمي بالتعاون مع الجمعية الإيرانية للغة العربية وآدابها
حقوق التأليف والنشر© المؤلفون

الخريف و الشتاء (٢٠٢٢-٢٠٢٣م)، السنة الرابعة ، العدد٧، صص. ٧٣-٥٣

[Downloaded from san.khu.ac.ir on 2024-04-28]
[DOR: 20.1001.1.26767740.2022.4.1.3.8]
[DOI: 10.61186/san.4.53]

الاستعمار الذي أزال الطبقات الأصلية، تحاول والى جانب الكشف عن أهدافها الاستعمارية ان تظهر القيم الاصلية والأهداف الحقيقية المختفية وراءها إلى المخاطب وتحذره من الهياكل المصممة لخطاب الاستعمار.

الكلمات الرئيسة: نقد ما بعد الاستعمار، الطرس، علم الرواية العربي، رضوى عاشور، قطعة من أوروبا.

١. المقدمة

يعد كل من الأدب والرواية -بشكل عام- رسم صورة عن الحياة، بالمهمة الملقاة على عاتقهما ويحاولان تجلي الأفعال وردود الأفعال في هذا المجال بالحفاظ على القيمة الفنية. من بين الروايات العربية المعاصرة هناك الكثير مما تأثر بدراسات ما بعد الاستعمار. إنّ رواية "قطعة من أوروبا" لرضوى عاشور من جملة الأعمال التي تطرقت إلى فترة الاستعمار في مصر. من خلال إلقاء نظرة على حياة الكاتبة نعرف بأنها شخصية ملمة بالتيارات المعاصرة وتاريخ بلدها، ودائما ما تتطرق في كتاباتها إلى الجوانب السياسية والتاريخية للإنسان المعاصر.

ان روايات عاشور هي في الغالب وصف تاريخي، تحاول بوعي إعادة بناء الأحداث التاريخية وإظهار الواقع الخفي الكامن في جوفها. إنها تتطرق في رواية قطعة من أوروبا إلى أحداث تاريخ مصر المعاصر بمحورية ثورة ١٩٥٢. ان الرواية مليئة بالأوصاف التاريخية والجغرافية وتسجيل كامل للأحداث، وحتى وصف واجهة الأبنية وتفاصيلها المعمارية. إنها وفي هذا الكتاب وكما يوحي اسمه، تسلط الضوء على السياسات والأحداث والعلاقات التي سعت طيلة التاريخ إلى "أوربة" مصر. تحاول عاشور من خلال الاعتماد على إمكانيات الرواية والأدب -على نطاق واسع-، ان تجعل كتابها خالقا لرواية، تعكس وتحلل واقع العالم المعاصر والبحث عن جذوره في القرون التي خلت. إنّ هذه الرواية وبتضمنها عناوين رئيسة لنقد ما بعد الاستعمار تعد من أكثر الأعمال غناء، كتبت في إطار إعادة إظهار الوضع المعاصر للمجتمع المصري، ومن أهم المكونات الأقل شهرة هي الطرس التي لم تحظ بالاهتمام حتى اليوم، وان شرحها يترك تأثيرا في معرفة هذا الكتاب وفهمه بشكل أفضل.

ضرورة البحث

تنبع ضرورة البحث من كون تاريخ الاستعمار في الشرق -وخاصة الشرق الأوسط- بشكل جوهري مرتبط بحياة الناس. إذ يدفع الإنسان والأدب المعاصر إلى تأمل جوانبه. "فمنذ ان اجتاحت دراسات ما بعد الاستعمار العالم الأكاديمي على غرار عاصفة، تمت البرهنة في نهاية الثمانينات من القرن العشرين، على أنها من أكثر المجالات تنوعا وإثارة للمناقشات في الدراسات الأدبية والثقافية، مجالات مليئة بالمناقشات والسجالات الكلامية التي لا نهاية لها". (Ashcroft, 2001: 1). إنّ القضية الرئيسة لهذه الدراسات هي "ان الامبريالية الثقافية تركت تأثيرا حاسما على تكوين هوية الإنسان وأسلوب حياته ومعاشه الثقافي في كافة أنحاء المعمورة". (بشيريه، ١٣٧٩: ١٣٣). إنّ النص كونه مجال منهجي متمايز يعد أساساً

[Downloaded from san.khu.ac.ir on 2024-04-28]
[DOR: 20.1001.1.26767740.2022.4.1.3.8]
[DOI: 10.61186/san.4.53]

مفيدا للتحليل الثقافي، ان النص المتوفر بين أيدينا كونه حركة خطابية، يجرب في فعل الإنتاج فقط. (Ashcroft, 2001: 15-16).

نظراً إلى ندرة الأبحاث في هذا المجال، فان القضية الرئيسة لهذه الدراسة هي دراسة موضوع ما بعد الاستعمار بعنوان الطرس الذي ترك تأثيره في تكوين ونضج دلالة الرواية، في مواجهة خطاب الاستعمار الغربي وكذلك في خلق تفاسير ما بعد الاستعمار الحديثة للمواضع القصصية في هذا الكتاب.

أسئلة البحث

إنّ الهدف الرئيس لهذا البحث هو قراءة رواية قطعة من أوروبا وإظهار أهداف الراوي الكامنة وراء توظيف الطرس ومعانيه المختفية في النص؛ وبغية تحقيق هذا الهدف، يريد الباحث الإجابة عن سؤالين جوهريين: ١-أين تكوّن الطرس في الرواية المذكورة أعلاه وما هي المستويات التي أخفاه في جوانبه؟ ٢-كيف يفكك تحليل هذا العنصر الطبقات الخفية لأيديولوجيا الاستعمار في سياق ما بعد الاستعمار؟

انّ أسلوب البحث هو وصفي-تحليلي يعتمد على وصف المواضع التي يمكن الاعتماد عليها في تحليل مفهوم الطرس، واستخلاص مدلولات جديدة من النص؛ وبغية تحقيق هذا الهدف فان الباحث قام بدراسة الأحداث والمواضع التي تحتلها الشخصيات، ثم يتطرق إلى شرح آراء وتحليل المواضع في ظل دراسات ما بعد الاستعمار بمحورية عنصر الطرس.

خليفة البحث

على الرغم من ان رضوى عاشور تعد من رواد خطاب ما بعد الاستعمار (الحفناوي، ٢٠١٥: ٣٣٥) وإنها تحظى بشهرة في الأوساط الجامعية الإيرانية، وقد نشرت العديد من الأبحاث حولها، غير أنّ دراسة رواية "قطعة من أوروبا" من منظار نقد ما بعد الاستعمار والطرس تعد من القضايا التي قلما حظيت بالاهتمام؛ إليكم بعض تلك الدراسات:

طهماسبي عظيم (١٣٩٤) في أطروحته للدكتوراه (جامعة أصفهان) التي حملت عنوان مقارنة وتحليل روايتي قطعة من أوروبا لرضوى عاشور و"خارطة الحب" لأهداف سويف في ضوء نظرية ما بعد الاستعمار؛ حاول من خلال دراسة قضية الاستعمار وما بعد الاستعمار في الكتابين المذكورين، إلقاء الضوء على وظيفة التاريخ والقضايا السياسية والاجتماعية في الروايتين وكذلك من خلال تحليل النصوص تطرق إلى موقف الكتاب فيما يتعلق باختيارات تاريخية تتجاوز مستوى القصص، كما قام بتقييم اهتمامهما بقضايا مثل الأنا والآخر والمقاربة الفيمينية وغيرها من القضايا.

تطرق صفري، فريدون (١٣٩٥) في أطروحته بعنوان "تحليل عناصر القصة في رواية قطعة من أوروبا" إلى عناصر القصة ومنها الحبكة وزاوية الرؤية والزمن والمكان وغيرها من القضايا، ويبين الباحث في نتائج بحثه بان الشخصيات حقيقية

[Downloaded from san.khu.ac.ir on 2024-04-28]
[DOR: 20.1001.1.26767740.2022.4.1.3.8]
[DOI: 10.61186/san.4.53]

وليست خيالية، وان حبكة الرواية مغلقة، وزاوية الرؤية هي الغائب أو العالِم الملم بالقضايا، وان "القاهرة" هو مشهد القصة؛ كونها المكان الرئيس؛ يرى الباحث بان هذه الرواية واقعية وتتضمن أساليب مثل الاسترجاع، وان فحوى القصة تاريخي وسياسي.

قامت عباسي نسرين (١٣٩٦) في أطروحتها للدكتوراه التي حملت عنوان "دراسة وتحليل رواية الطنطورية لرضوى عاشور على أساس نظرية السرد لجرار جينيت " في جامعة بوعلي سينا في همدان، بدراسة هذا الكتاب من خلال توظيف نظريات جينيت في مجال السرديات أو علم السرد. إنها تطرقت في المقال المستل من الرسالة وبعنوان "دراسة وتحليل البؤر في رواية الطنطورة لرضوى عاشور" إلى أنواع البؤر الثابتة والمتغيرة والمتعددة.

هذا وتطرقت حيدري راد، سميرا (١٣٩٦) في أطروحتها بعنوان شخصية المرأة في أعمال رضوى عاشور (دراسة حالة: الطنطورية، أثقل من رضوى والصرخة) إلى سمات شخصية المرأة في رواياتها، واعتمادا منها على نظريات غاياتري اسبيفاك وادوارد سعيد سلطت حيدري راد الضوء على تحليل شخصية المرأة في الهامش كما تظهر في تلك الروايات.

نشر السباعي رضوان، إسلام محمد (٢٠١٨) مقالة بعنوان جمالية المفارقة في رواية قطعة من أوروبا في مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية في جامعة قناة السويس، إذ يرى بان التناقض في تكوين الرواية والمفاهيم التي تركز عليها عاشور مهم جدا، ويرى بأنه في كل عناصر الرواية تم استخدام الشخصيات والأساطير واللغة الرسمية -وأحياناً العامية-، وان عاشور بهذا تحاول رسم صورة عن تناقضات التاريخ المصري المعاصر حتى تجيب عن سؤالها المحوري وهو كيف وصلنا إلى ما نحن عليه الآن؟

قام بركات احمد (٢٠١٨) في رسالته للماجستير التي حملت عنوان "البنية السردية في رواية قطعة من أوروبا لرضوى عاشور" بدراسة كتاب عاشور من منظار السرديات.

تطرق جراد خلود إبراهيم عبد الله (٢٠١٨) في رسالة ماجستير (٢٠١٨) بعنوان "تطور البناء الدرامي التاريخي في روايات رضوى عاشور، في جامعة الشرق الأوسط، إلى تحليل تاريخي لخمسة أعمال لرضوى عاشور ومنها قطعة من أوروبا.

وظفت بور قاسم مريم (١٤٠٠) في رسالتها للماجستير بعنوان "دراسة وتحليل رواية ثلاثية غرناطة لرضوى عاشور، من منظار ما بعد الاستعمار"، في جامعة ولي العصر في مدينة رفسنجان؛ وظفت نظريات ادوارد سعيد هومي بابا[٣] وغاياتري اسبيفاك لتقديم نقد مظاهر ما بعد الاستعمار.

٢. نظرة على حياة رضوى عاشور

توجهت رضوى عاشور (١٩٤٦-٢٠١٤) في عام ١٩٧٣ لإكمال دراستها في مرحلة الدكتوراه وكتابة أطروحتها في مجال الأدب الإفريقي-الأمريكي إلى جامعة ماساتشوستس الأمريكية (عاشور، ١٩٨٣:٧). وهناك اقترح أحد مديري الجامعة إليها بان تشارك في دورة الأدب الإفريقي طيلة الفصل الدراسي، حتى تستفيد من محاضرات تشينوا أتشيبي[٤] في الجامعة.

[Downloaded from san.khu.ac.ir on 2024-04-28]
[DOR: 20.1001.1.26767740.2022.4.1.3.8]
[DOI: 10.61186/san.4.53]

(المصدر نفسه: ١١). ان استفادتها من محاضرات واحد من أكبر الكتاب والمفكرين ما بعد الاستعمار تعد من القضايا التي يجب التركيز عليها في دراسة حياتها.

تقول عن تجربة كتابتها: أنا امرأة عربية ومواطنة من العالم الثالث، وتراثي في الحالتين تراث الموءودة، فاكتب دفاعا عن نفسي ودفاعا عن الآخرين الكثر الذين أقوم بتمثيلهم وأولئك الذين مثلي أعي هذه الحقيقة حتى العظم، وأخافها إلى حدّ الكتابة عن نفسي وعن آخرين أشعر أنني مثلهم أو أنهم مثلي. (عاشور، ١٣٨٦: ٢٥٥).

من الأعمال المهمة التي تبرهن على اهتمامها بأدب ما بعد الاستعمار وتأثرها بهذه المقاربة، يمكن الإشارة إلى "لكل المقهورين أجنحة (٢٠١٩) والتاج ينهض (٢٠١٦)."

إنها وبعد خضوعها عدة عمليات جراحية على دماغها في أعوام ٢٠١٠ حتى ٢٠١٣ توفيت في عام ٢٠١٤ في مصر. (عاشور، ٢٠١٥: ٥-٦).

٣. الأدب النظري للبحث: دراسات ما بعد الاستعمار

يصعب تقديم تعريف دقيق لمصطلح ما بعد الاستعمار بشكل عام، ذلك لأنه "ينطوي على مجالات من النظرية والنقد الأدبي حتى الدراسات الاقتصادية والسياسية والحكومات الاستعمارية وقضية الهوية والدراسات الثقافية". (ملك لين، ١٣٨١: ٤٧).

لكن ما هو مثبت فان القوى الاستعمارية تقوم بإعادة تعريف مستعمراتها وفقا لنظامها المعرفي وأهدافها الاستعمارية، ولهذا فانه يتم تقديم المستعمرين بألقاب مثل غير الحداثيين وغير الديمقراطيين والبرابرة والصفات المنتهكة للقيم الاجتماعية الغربية، حتى تبرر استعمارها واحتلالها لتلك الدول بذريعة الحداثة ونشر الصحة والتعليم. (عطية، ٢٠١٨: ١٦٨). على هذا فان عقلية المستعمر تتكون في قالب لغة وديانة وثقافة السيد الأبيض، إذ يتم القضاء على الشعور بانتماء الفرد إلى ثقافته المحلية شيئاً فشيئاً. (Nayar، ٢٠١٥: ٨٧).

ان المستعمرين ينظرون بنظرة واحدة عند دراسة تاريخ الشعوب المتخلفة، وهذا يبين تأثير سلطتهم وخطابهم الاستشراقي، إذ تنوي دراسات ما بعد الاستعمار إزالة هذه الأفكار والقضاء عليها. (تيموسكو، ٢٠١٠: ٢٩).

ان نظرية ما بعد الاستعمار "تقوم بدراسة وتطوير افتراضات حول التأثير الثقافي والسياسي لسيطرة المجتمعات التي استعمرتها أوروبا وطبيعة ردود فعل تلك المجتمعات، فان مفهوم "ما بعد" في هذا المصطلح يشير إلى "بعد بدء الاستعمار" بدلا من "بعد نهاية الاستعمار"، ذلك ان الصراعات الثقافية بين المجتمعات الإمبراطورية والخاضعة للسلطة مستمرة إلى يومنا هذا". (Ashcroft and Ahluwalia، 2001: 15).

يمكن عد المعنى الحقيقي لمصطلح "ما بعد الاستعمار" بأنه تكوين وإعداد فكرة وإستراتيجية قائمة في المستعمرات

[Downloaded from san.khu.ac.ir on 2024-04-28]
[DOR: 20.1001.1.26767740.2022.4.1.3.8]
[DOI: 10.61186/san.4.53]

والحواضر، التي فيما بعد تم توظيفها للدلالة على التجربة السياسية واللغوية والثقافية لمجتمعات كانت مستعمرات الأوروبيين سابقا. (Ashcroft & others ، ٢٠٠٧: ١٦٨).

في الحقيقة ان كتّاب ما بعد الاستعمار يرسمون صورة عن كيفية سيطرة الاستعمار على ثقافة المستعمرات ومقاومة تلك الثقافة في مواجهة السلطة. ولما كانت تجربة معرفة الدول العربية مع الحضارة الغربية قد جاءت عن طريق الاستعمار، فان ردة الفعل تجاه الغرب قد شكلت موضوعا لأعمال الكثير من المفكرين والأدباء العرب. وبشكل عام يمكن تقييم خطاب ما بعد الاستعمار على انه يسعى إلى دراسة وإعادة بناء الخطابات والأسس المهيمنة التي ألقت بظلالها على العالم الشرقي من خلال هيمنة الغرب.

٣. ١. الطرس

ان الطرس Palimpsest أو الكتابة على الكتابات السابقة، تعد من خدع الاستعمار الذي يحاول تغيير ثقافة ما بعد الاستعمار أو محوها من الوجود ويطلق بنفسه اسما على تلك الثقافة، ان الطرس يشير إلى ورقة من الجلد التي تحمل في طياتها أثر الكتابات السابقة الممسوحة في خلفيات الكتابات الجديدة. (اسكرافت وآخرون، ١٤٠١: ٢٤٦). "ان الكشف عن هذه السمات المتبقية من الماضي، شكل جزءا مهما من معرفة طبيعة العصر الراهن" (المصدر نفسه). ان ثقافة ما قبل الاستعمار التي كانت في جلها ثقافة شفهية، والتي تضفي على النص قيمة كبرى بواسطة نصية الاستعمار، تتراجع وتصبح في الجانب المظلم. على هذا، فان كتّاب ما بعد الاستعمار يحاولون إدخال الثقافة الشفوية المحلية في النصوص وبهذا يتسببون في بث روح جديدة فيها وإبعادها عن الأضرار الناجمة عن سيطرة الاستعمار المحددة بشدة.

في الواقع، إنّ الاستعمار وعبر كتابة معلوماته على الكتابات السابقة مثل "رسم الخارطة، والتسمية والسرد القصصي وغير القصصي، يخلق مجموعة متعددة ومليئة بالصراعات". (المصدر نفسه). إنّ الاستعمار وبهذا الطريق يمكنه توفير المال في المستعمرة لبسط سيطرة أكثر من ذي قبل. "انّ الجانب الأكثر مثاراً للتحدي من هذه النظرية، هو ان الموضوع الاجتماعي المعتاد عندما ينظر إلى البيئة المحيطة به، لا يمكنه استيعاب ظواهرها بسهولة كونها معطيات مرئية أصيلة، وبدلا من هذا يتموضع في أفق ثقافي مع ذلك المكان: بمعنى ان هذا المكان القابل للمشاهدة يعد طرساً ثقافياً صنع خلال قرون ويحفظ آثار الهواجس والكتابات السابقة ومنها تأثير المتفرج الذي تم رسمه من خلال فعل "المشاهدة". (المصدر نفسه: ٢٤٧). على هذا فان الموضوع الاجتماعي المعتاد أو الإنسان المحلي يعيد هويته في هذا الأفق الثقافي القابل للمشاهدة الذي رسمه متفرج مستعمر.

ومن هنا فان المستعمر يمكنه "منع عودة ظهور صورة مقموعة حصرية ووحيدة لعرق أو ثقافة أصلية" (المصدر نفسه). وبهذا أصبح بإمكان المستعمرين محو البنى السابقة لهذه الأراضي و"إظهارها كونها فضاءات خالية ونقية كانت مستعدة لتلقي كتاباتهم" (المصدر نفسه، ٢٤٨). ان "خطابات ما بعد الاستعمار جلها تسعى لإعادة "كتابة" و"قراءة" أراضي قام

[Downloaded from san.khu.ac.ir on 2024-04-28]
[DOR: 20.1001.1.26767740.2022.4.1.3.8]
[DOI: 10.61186/san.4.53]

المستعمر بمحوها". (المصدر نفسه).

٤. القسم التطبيقي: خطاب ما بعد الاستعمار في رواية قطعة من أوروبا

ان نظرية ما بعد الاستعمار هي وليدة الدراسات الأدبية ثم اتسعت نطاقا إلى مجالات أخرى مثل السياسية والاقتصاد وغيرها، إنّ الأعمال الأدبية في فترة ما بعد الاستعمار تتطرق بشكل واسع النطاق إلى أسس الاستعمار وتأثيره في الشرق وتحاول الكشف عن أعمال المستعمر في تلك الرقعة الجغرافية التي ليس من الواضح تأثيرها الشامل على الأطر الإدراكية للشعوب المعاصرة". (اسكرافت وآخرون، ١٣٩٢: ١٨). إنّ خطاب ما بعد الاستعمار وعبر إعادة قراءة التاريخ المعاصر للشعوب وتحديد فوارقه عن الاستعمار وتأكيده عليه، يحاول فضح الفضاء المرسخ هذا. ان "مفهوم الطرس هو أسلوب مفيد لمعرفة التعقيدات النامية لثقافة ما. (اسكرافت وآخرون، ١٤٠١: ٢٤٨). ويساعد على إعادة بناء وقراءة كتابات وآثار سابقة للثقافة المحلية.

٤ . ١. الطرس الاقتصادي والبنى التحتية

ان المستعمر وبغية بلوغ أهدافه ينشط في أجزاء مختلفة ومنها الاقتصاد المحلي وبناه التحتية. يشكل المستعمر مشاريعه ويضعها على البنى الاقتصادية والبنى التحتية المحلية، حتى يوجه مخرجات هذا الجزء نحوه. ان راوي القصة هو رجل متقاعد ويروي ماضيه وماضي بلده، ويشير كثيراً إلى قضية الطرس ونشر البنى التحتية والقيم الاقتصادية الغربية في المجتمع المصري، وعبر هذا التمثيل يحاول تفكيك وفضح الأهداف الاستعمارية والحد منها، ان قوى الاستعمار وعبر الإقناع وممارسة النفوذ على الحكام المحليين، تحاول ان تبدل الفضاءات الموجودة في مصر إلى فرص وأمكنة لتطبيق مشاريعها الاقتصادية، وتنفيذ هذه المشاريع والبنى التحتية في الأراضي المصرية، ان محمد علي باشا (فترة حكمه: ١٨٠٥-١٨٤٨) يشكل دورات تمهيدية للشعب حتى يشاهدوا الدمار ويقبلونه، ويعدونه سببا لسعادة أنفسهم ووطنهم:

«فأعطى الأهالي ما يمكن أن نسميه بلغتنا الحالية دورة تمهيدية تعدهم لمشهد تدمير المباني الأثرية لفتح سكة جديدة، أقصد مشهد المعاول والمهدّات والجرّافات وهي تقتلع بيوتا ومساجد وأسبلة وأشجارا وأبوابا ومشربيات، وقبور أيضا» (عاشور، ٢٠٠٣: ١٣). في الواقع فان راوي القصة يظهر بأنه كيف تمر الأراضي المصرية بمرحلة التنظيف على غرار جلد، حتى تستعد لتلقي البنى الجديدة.

ثم يرسم المراقب مصر وشوارعها وكيف تحولت إلى أجزاء من أوروبا: هنا كانت الأوبرا، قطعة كاملة من أوروبا. صممها فاشيوتي وروسيّ على طراز لا سكالا في ميلانو... هناك كان فندق شبرد، قطعة صغيرة من إنجلترا، كأنه القنصلية البريطانية» (المصدر نفسه: ٤٩) وكذلك يتحدث عن انتشار صحف انجليزية في مصر، إذ كيف تساعد على بناء خطاب

[Downloaded from san.khu.ac.ir on 2024-04-28]
[DOR: 20.1001.1.26767740.2022.4.1.3.8]
[DOI: 10.61186/san.4.53]

الاستعمار وتطوير أهدافه الاستغلالية المهيمنة: «أهم شخصية في القاهرة هي كوك! هذا ما كتبته جريدة فانيتي فير عام ١٨٨٩» (المصدر نفسه: ٥٠). هذه الصحيفة (فانيتي فير) ترى ان جون ميسون كوك وهو مدير مؤسسة سياحية، أبرز شخصية في القاهرة، شخص يقوم وحكومته بنهب القطع الأثرية التاريخية الثمينة، ويأتي رسمها لصورته على هذا النحو حتى يقبل المخاطب المصري بان مصالح حكومة بريطانيا الاستعمارية ومصالحه مشتركة، لكن المراقب يكشف عن الحقيقة من خلال سرده لحقائق كامنة وراءها:

«مكتب توماس كوك وابنه ينظم رحلات الإنجليز إلى صعيد مصر. مراكبه أيضا قطعة من أوروبا سابحة باسم الله في النيل: الطعام إنجليزي، مستوى الخدمة، لغة حديث. جون ميسون كوك، ابن توماس كوك، طويل عريض قوي البنية- أتخيله في حجم روتشيلد بلفور، لكن روتشيلد كان يغوي جمع الفراش والتاريخ الطبيعي، وجون ميسون كوك كان حاد المزاج يشرف على كل شيء، يمسك النيل وأرواح العاملين معه في قبضته. يقال: أمسك بتلابيب ترجمان لم يتحدث معه بما يراه لائقا وألقى به في النهر» (المصدر نفسه: ٥٠).

ان المراقب في أجزاء أخرى من روايته يكشف عن استخدامات أخرى لاحتكار السياحة في مصر لعناصر الاستعمار وكيف يقوم عبر شركات السياحة بتفجيرات على يد عملاء الموساد في مصر والعراق لإخافة اليهود في تلك المناطق بحيث يقومون بالسفر إلى إسرائيل عبر تلك الشركات. (المصدر نفسه: ١٧٦).

فضلا عن المراكز الاقتصادية والثقافية فان الأبنية وحتى المطاعم المزدحمة التي تقدم أفضل الأطعمة تعود ملكيتها إلى الأجانب وملاكها هم من إيطاليا وسويسرا، والملفت هو ان هذه الأماكن لم تعد مكانا لبيع الحلويات والطعام فحسب، بل إنها مراكز لنشر الثقافة الغربية، وتقام فيها جلسات لعزف الموسيقى وبث الأفلام السينمائية الغربية والاحتفالات بالأسلوب الغربي إلى جانب الرقص، ان المراقب يدخل في الرواية أسماء الحلويات والأطعمة كما كانت منتشرة بين الناس. (المصدر نفسه: ٦٩). انه وبعد الحديث عن الحالات تلك، يفضح أهدافها الضمنية، والتي يتمثل الهدف الرئيس في نهب الأراضي الزراعية في مصر بواسطة الآليات الحديثة واستغلال المصانع والمواشي والمزارعين والعمال المصريين بأقل التكاليف.

«أنواع من الحلوى... جديدة في أشكالها، غريبة في أسمائها: كريم شانتي، مارون جلاسيه، جيلاتي، ميل فوي، إكلير، بُول دي شوكولاه... كان مشروع... يتجاوز فكرة خباز ماهر يعاونه ابنه إلى استثمار كبير يعتمد الزراعة والتقنيات الحديثة... فيها الحقول والمعامل والماشية والفلاحين والعمال» (المصدر نفسه: ٦٩).

ان المراقب يسلط الضوء على كل جوانب الهيمنة الاستعمارية الملفتة للنظر عبر ملكية الامتيازات الاقتصادية الشاملة، ويعدها بالممهدة للأرضية في مجال التوغل في كل الهياكل الاقتصادية، بحيث يصرح بان والده كان يعمل في بنك لم يكن يعرف مؤسسه الرئيس، ويبين كيف تحول هذا المصرف إلى جزء من هويته وهوية كل الأسرة:

«لا أظن أني سمعت اسم كاسل يرد على لسان أبي رغم أنه مؤسس البنك الذي يعمل فيه. ولم يكن البنك الأهلي بالنسبة لنا مجرد مكان لعمل رب الأسرة يعيّنه الواحد منا حين يجيب عن السؤال: "ما شغل والدك؟" بل تتردد في بيتنا

[Downloaded from san.khu.ac.ir on 2024-04-28]
[DOR: 20.1001.1.26767740.2022.4.1.3.8]
[DOI: 10.61186/san.4.53]

كلمة "البنک"، معرّفة وأليفة ولها رنين خاص، تكاد تكون مترادفة لأبي وجزءا بالتالي من هويتنا، أو كأن عمل أبي في البنک سحب الأسرة كلها إليه لتصبح فرعا من فروعه. نقل إلينا أبي شعوره بقيمة البنک واعتزازه بالعمل فيه» (المصدر نفسه: ٥٥-٥٦).

ان مؤسس المصرف هو ارنست كاسل يهودي ألماني كانت تجمعه علاقات واسعة النطاق بتجار يهود أوروبيين، مثل موريس دي هيرش المليونير اليهودي الذي أسس مؤسسة يهودية لاستعمار فلسطين. (المصدر نفسه: ٥٤). انه وعبر بناء الصداقة والعلاقات المالية القوية بـ Comprador[5] أو الرجال السياسيين المصريين التابعين للغرب منهم عباس حلمي الثاني (المصدر نفسه: ٥٥) يروج أهدافه الاستعمارية في غطاء السلطة. انه استطاع ان يعمل بمهارة إذ خدع والد الراوي وهو مصري قومي ومتعصب، لدرجة لم يكن يعرف بان الراوي يقول غير متيقن بان والده إما لم يكن يعرف أم انه لم يكن يريد بان يقول لابنه البالغ من العمر خمس سنوات (المصدر نفسه: ٥٦-٥٨) بان الاقتصاد المصري يديره الاستعمار والأجانب: «لم يقل لي أبي ذلک اليوم أن أوراق النقد التي يصدرها البنک كانت تطبع في بريطانيا لدى شركة برادبري ويلكنسون وشركاه في مطابعها بمقاطعة ساري، ولم يشر لكاسل ولا للإخوان سوارِس والعائلات اليهودية الأخرى التي تملک البنک» (المصدر نفسه).

يمكن من خلال تحليل سرد المراقب لحياته العثور على رفض مشاريع ذكية لهيمنة الاستعمار إذ تنتهي إلى السيطرة على الاقتصاد المصري وحتى تأثيرها على هوية سكان مصر الأصليين، وينجح في وضع شفراته على ما حدث في الماضي:

«والإخوة سوارس، والإخوة شيكوريل والإخوة قطاوي وغيرهم من العائلات اليهودية المتنفذة في مصر: موصيري ورولو وليفي ومزراحي، هل هذا ما أريد أن أحكي عنه؟ أفضّل فيما كانت تمتلكه من بنوک وشركات: البنک الأهلي، وبنک الرهونات، والبنک العقاري المصري، والبنک التجاري المصري، والبنک الزراعي المصري، وخط سكة حديد حلوان، وخط سكة حديد الدلتا، وشركة مصر الزراعية، وشركة مياه طنطا، وشركة وادي كوم أمبو وما تملكه من آلاف الأفدنة المزروعة بقصب السكر ومعامل التكرير التابعة لها، فضلا عن أغلب المتاجر الكبيرة في البلد. ليس هؤلاء أبناء حارات اليهود، المحليين الذين لا يعرفون سوى العربية. هؤلاء جاءوا مع موج البحر، حملهم الموج من شاطئ إلى شاطئ ليسكنوا قصورا، ويترددوا على قصور، ويحضروا الحفلات الراقصة في بيت اللورد، أو ليسكنوا دوراً متواضعة فقيرة، لأنهم عمال، ولأنهم مهاجرون، وفي الحالتين يتحدثون الإيطالية والفرنسية واللادينو أو الروسية والألمانية واليِدِش فترفعهم اللغة وأصولهم فوق المحليين من أهل البلد (بما فيهم يهود الحارة) وتربطهم بأسيادها الأجانب» (المصدر نفسه: ٥٨).

في الجزء أعلاه يمكن العثور على قضية مهمة للغاية في شعور الراوي تجاه المهاجرين الأثرياء منهم والفقراء، وكيف يؤدي تبعية هؤلاء المهاجرين للثقافة واللغات الأوروبية إلى تفوقهم على السكان الأصليين العرب واليهود وغيرهم؛ في الواقع يظهر الراوي دور الاستعمار وكيف عبر الغزو والتجارة تهيمن أنظمة قيم أوروبا ذاتيا وموروثا على العناصر الأصلية. (اسكرافت

[Downloaded from san.khu.ac.ir on 2024-04-28]
[DOR: 20.1001.1.26767740.2022.4.1.3.8]
[DOI: 10.61186/san.4.53]

وآخرون، ١٤٠١: ١٣٦).

بعد التطرق إلى هذا الجزء وتفوق اللغة والثقافة الأوروبية يقوم الراوي بالبحث عن الجذور، ويعود إلى القرن الثامن عشر، حيث كان يحكم والد محمد علي باشا-حاكم مصر في القرن التاسع عشر، إذ حكم آباءه مصر ما يقارب قرن ونصف القرن أي من ١٨٠٥ حتى ١٩٥٢ -الذي جاء بصفته لاجئ من مدينة كاوالا (بالعربية: قولة والانجليزية Kavala) وبعدما يعتلي ابنه السلطة، يحاول تقليدا من أوروبا وخاصة باريس ان يدخل مصر في الحداثة، إذ يتدفق المهاجرون وخاصة اليهود في هذه الفترة والفترات اللاحقة إلى المصر. (عاشور، ٢٠٠٣: ٥٨).

ثم يقوم الراوي بربط هذه الحادثة بإصدار وعد بلفور وحركة اليهود المهاجرين لإقامة دولة مستقلة وتولي أغلبية مناصب مصر رفيعة المستوى (المصدر نفسه، ٥٨-٦١) ان كل هذه القضايا تتم عبر بناء العلاقات الودية والسلطوية بين قادة مصر وقادة الاستعمار، ويصف الراوي الاحتفالات التي يقيمها اليهود في مصر وكيف تتم دعوة عزيز مصر حتى يزيد الاحتفالات بهاءا ويجعلها مباركة (المصدر نفسه، ٦٢). تنتهي كل هذه البرامج بالأسماء التي وردت في صفحة ٥٨ من الرواية، وان الراوي بهذا يجد أسس مركزية الأسماء غير الأصلية في الأحداث التاريخية التي استطاعت بناء أسسها على صرح روح مصر. (المصدر نفسه: ٦٥).

ثم وبالإشارة إلى الأنشطة الثقافية ودعاية الكيان الصهيوني واسعة النطاق بين الشعب المصري، يتطرق الراوي إلى وصف الرسائل ونشر الكراسات العديدة والدراسة المجانية في المدارس التي تروج الفكر الصهيوني، وفضلا عن هذه القضايا ان التركيز على نشر الرسائل يحظى باهتمام كبير إذ تعود إلى نهاية القرن التاسع عشر والسنوات التي سبقت الحرب العالمية الأولى، إذ يبحث الراوي عن جذور نشر الفكر الصهيوني ويظهر بان أحداث ١٩٤٨ المأساوية وبعدها تضرب بجذورها في ماضي الاستعمار والدعاية واسعة النطاق للصهاينة التي تمتد إلى قرن من الزمن:

«قمنا من ناحتينا بطبع ٣٠٠٠ كراسة باللغة العربية ووزعناها من يد ليد بين اليهود المحليين. كذلك ازداد عدد أعضاء جمعيتنا إلى ١٥٠ عضوا بينما لم يكونوا في يونيو الماضي سوى ستين... الصهاينة في مصر كانوا يأملون أن يجعلوا من مصر مركزا لنشر وتوزيع الكتابات الداعية للصهيونية» (المصدر نفسه: ١٣٣).

في الاتجاه الثاني من الخطاب الّذي تكوّن على يد المستعمرين والمحتلين تكشف كاتبة الرواية بعد التطرق إلى ما قام به الصهاينة سابقا في نشر مجلاتها وأفكارها مجانياً، عن صورة الصهيونية وأهدافها المشئومة في الصفحات التالية (١٣٧ و١٣٨) كما تكشف عن أساس فكرتها ألا وهي احتلال واستغلال بعض دول منطقة الشرق الأوسط، ثم ومن دون الاهتمام بالهوامش أو الحديث بكلام مبطن تشبّه كل عملية الاستعمار والاستغلال بهجوم الجنادب على ارض خضراء في مزرعة ما، إذ تقوم بهذا العمل منذ مئات السنين وستقوم بها مستقبلا، ثم لا ترى هذا التشبيه مناسبا ذلك انه لا جندب يقوم بتغيير خارطة الدول ويؤسس الدول-تشير إلى تأسيس دولة إسرائيل-ويدمر تاريخ الشعوب إذ يمتص روحها، كامتصاص النفط من جوف الأرض. (المصدر نفسه: ١٦٧).

[Downloaded from san.khu.ac.ir on 2024-04-28]
[DOR: 20.1001.1.26767740.2022.4.1.3.8]
[DOI: 10.61186/san.4.53]

من المكونات المهمة والمسهلة للاستعمار هي الهيمنة والنفوذ وخلق الطرس حتى يتمكن من تجنيد الأعضاء من بين ضحايا الاستعمار من خلال خلق أرضيات أدبية وثقافية، ووضع قناع مناسب على وجه الاستعمار والاستغلال.

في الواقع فان المراقب ومن خلال هذا العمل يكشف عن الطبقات الحقيقية لنشر هيمنة الاستعمار وكذلك بياناته الأساسية.

٤ . ٢. الطرس الأدبي

ان الأدب والأعمال الأدبية المهمة تعد من أهم مبررات عملية الاستعمار للسكان الأصليين، إذ " لا يتضح تأثيره الشامل على الإطار الإدراكي للناس المعاصرين، ان الأدب يعبر عن إحدى أهم الأساليب التي يتم التعبير عن الأفكار الجديدة من خلالها". (اسكرافت وآخرون، ١٣٩٢: ١٨).

يتجه المراقب نحو النصوص الأدبية في الكثير من الأحيان وفي عمل ثنائي يضع الأعمال الشرقية بوجه بعضها البعض، على سبيل المثال في الفصل الثاني عشر من الرواية، انه يبدأ الكتابة بمصرع من شعر تي اس اليوت، إذ لا يذكر اسم هذا الشاعر الشهير أو لم ينوي ذكره، "من القائل: على ضفاف ليمان جلست وبكيت؟" By the waters of Leman I sat down and wept حاولت أن أتذكر، لم تسعفني الذاكرة. لم يتح لي أن أقرفص أو أتربع مباشرة عند الماء، لم يعد ذلك متاحا في القاهرة» (المصدر نفسه: ١٢٨).

في الصفحات التالية يكتب عن أسباب بكائه على ضفاف النيل، ويكتب عن رجل يدعى ماركو باروخ الذي يشكل في مصر ثلاث جمعيات صهيونية للأعمال الدعائية والهيمنة. (المصدر نفسه: ١٣٠). ويتطور من خلال كسب الدعم المالي والثقافي (المصدر نفسه: ١٣٢) من الدول الأخرى والشخصيات الشهيرة التابعة للاستعمار في مصر، منهم هيرتزل وسواريز الذي يظهر أثره في كل المشاريع الاستغلالية في مصر (المصدر نفسه: ١٣١). مع هذا فان عباس حلمي باشا الثاني يمجده (المصدر نفسه: ١٣٤). إنهم وفضلا عن إنشاء المدارس ونشر الكراسات العديدة بين المصريين، واخذ ثلاثين ألف هكتار من الأراضي في سينا من الحكومة المصرية بعام ١٩٠٣ (المصدر نفسه: ١٣٣) يبلغون درجة يجعلون مصر قاعدة لنشر الأفكار الصهيونية من الجزائر حتى الشرق البعيد (المصدر نفسه). هنا يجد المراقب بان قطع أحجية تأسيس الحكومة الصهيونية مكتملة، وفي نهاية المطاف يشير إلى مقابلة لشخص يسمى "كردي" نشرت في صحيفة "يديعوت احرونوت" الصهيونية بعام ٢٠٠٢ التي كانت مهينة للغاية ومعادية للإنسانية، يتحدث فيها عن جرائمهم عند بناء المستوطنات الصهيونية وتدمير بيوت سكان فلسطين الأصليين. (المصدر نفسه: ١٣٤-١٤٠).

ان المراقب وبعمله هذا يرسم مشهداً مؤلماً من دراما تأسيس الحكومة الصهيونية التي بدأت من الأراضي المصرية بنشر عقائدها، ويضعها على بحيرة ليمان التي بكى عليها اليوت، ويبكي على تل من خرابات ناجمة عن تخريب بيوت

[Downloaded from san.khu.ac.ir on 2024-04-28]
[DOR: 20.1001.1.26767740.2022.4.1.3.8]
[DOI: 10.61186/san.4.53]

الفلسطينيين ويبين كيف ينتهي الاستعمار إلى المجهول وارض تسمى "الموت" للسكان الأصليين. وعلى هذا يشير إلى منظومة اليوت The Waste land بالكناية التي أوردها في مصرع في مستهل الفصل.

كما يقوم المراقب في الفصل الثالث عشر بنفس العمل، ويشبه أولا حياته في سن الخامسة والستين بمسرحية ويسبه نفسه بالملك لير –شخصية مسرحية شكسبير الشهيرة (المصدر نفسه: ١٤٢). ثم يجد أن شكل المسرحية يعاني من تحديدات وعراقيل، كانت منذ زمن أرسطو –وحدة الحدث والزمان والمكان –وبالتالي، فإن هذا الشكل الأوروبي لا يملك القدرة على نقل الأحداث والعواصف التي جرت عليه ويقرر عدم الكتابة على طريقة شكسبير واستخدام طريقته الخاصة التي لا يدركها بالضبط (المصدر نفسه). في هذا القسم يقصد المراقب من العواصف، التواريخ التي بلغت فيها الحروب والقتل إلى أعلى مستوياتها في منطقة معيشته، وفي الحقيقة يرى أنها من نتائج الاستعمار الذكي الذي بدأ من القرن التاسع عشر في مصر، ويسعى للكشف عن كتابات وأهداف الاستعمار السابقة. أثناء كتابته عن المجازر الجماعية التي حدثت في بحر البقر وشاتيلا والعامرية وقانا وجنين، يقول المراقب لشكسبير وملك مسرحيته لير، هل أنتم مستعدون لمقايضة حياتكم معي؟ أنتم لا تعرفون شيئا عن الألم ولن أعطيكم وهذه القصة وهذه الحياة (المصدر نفسه: ١٤٤).

ثم ينقل المراقب قصة حياة الشاب الفلسطيني فارس عودة الذي قتل عام ٢٠٠٠ بنيران الدبابة (المصدر نفسه: ١٤٥-١٥٢) ويجعله الشخص الأول في مسرحيته، ويضعه محل ملك لير شكسبير ذلك انه اعرف بالألم والبطولات.

يواصل المراقب السير على هذا الأسلوب وفي الفصل الرابع عشر يعود إلى القرن الثامن عشر حيث تحصل عائلة روتشيلد Rothschild الداعمة الكبيرة ماليا لتأسيس الصهيونية (المصدر نفسه: ١٥٧) على الثروة، ويقارن في عبارة ملفتة ومليئة بالكناية روتشيلد بغوته Goethe الذي يكبره بست سنوات فقط (المصدر نفسه: ١٥٤) ورابينسون كروزئه (المصدر نفسه: ١٥٥)؛ لكن هذه المقارنة لم تأت عشوائيا، بل ان المراقب يقوم بالبحث في الأدب الأوروبي ومسار تطور عائلة روتشيلد ويصل إلى هذه القضية بان هذا الأدب يقدم ادموند روتشيلد–اصغر أبناء جيمز روتشيلد وحفيد امشل ماير روتشيلد المعاصر لغوته–كونه اكبر فاعل خير الذي قام بعمران فلسطين[6] وتأسيس الجمعيات والمراكز العلمية في باريس ولندن، وقام بجمع رسوم ثمينة لرسامي القرن السابع عشر والثامن عشر. (المصدر نفسه: ١٥٧).

لكن في الجانب الآخر فان المراقب يستفيد لوصف روتشيلد من مفردة الشاطر (المصدر نفسه: ١٥٦) وهي تحمل معنيين متناقضين أي الشاطر في الفصحى والمخادع في الدارجة. كما يضفي تشبيه هذه الأسرة بأسرة كروزوئه مفهوما ما بعد استعماري ملفت للاهتمام على النص، ذلك ان قضية أسرة كروزوئه التي ألفها دانيال دفو[7] "كانت جزءا من عملية تعزيز العلاقات بين أوروبا والآخرين" (اسكرافت وآخرون: ١٤٠٠: ٢٤٥). في الواقع فان المراقب ومن خلال خلق فضاء يوجد فيه شكسبير ودانيال دفو واليوت معا، يظهر خطاب الاستعمار الكبير والاستفادة منه في الأدب، ويخرج منه قصة معاناة السكان العرب الأصليين.

تقول الراوية بعد نقل هذا الجزء بان هدفها ليس كسب تعاطف المخاطب وإثارة شفقته، بل إنها تريد السرد بوحي من

[Downloaded from san.khu.ac.ir on 2024-04-28]
[DOR: 20.1001.1.26767740.2022.4.1.3.8]
[DOI: 10.61186/san.4.53]

العدالة والدقة، وتشير إلى بيت شعر من أبي العلاء المعري: غير مجد في ملتي واعتقادي/نوح باك ولا ترنم شاد (المصدر نفسه: ١٦٩). وفي الواقع بهذا البيت توجه انتباه المخاطب إلى جذورها الأصلية والثقافية العميقة، وتخلق حالة من السخرية من خلال الإشارة إلى مفهوم هذا البيت الذي يتداعى ما بعده إلى الذهن، إنها إذ تقول بان الهدف ليس كسب التعاطف، وتذكره كرثاء للقاهرة. وعبر الإشارة إلى هذا البيت تكتبه على الشعر الذي نقلته من تي اس اليوت (المصدر نفسه: ١٢٨). وثم تتطرق إلى الأحداث التي تلت ثورة ١٩٢٥ وكيف هاجم الناس هذه المراكز الاقتصادية والثقافية الغربية وحطموها (المصدر نفسه: ١٧٠-١٧٢) وتحول ما ورد في الروايات وذكريات السياح الغربيين وسير حياة كبار الموظفين في الدائرة البريطانية في مصر، إلى كومة من الأنقاض. (المصدر نفسه: ١٧٣).

ان واحدة من أكبر تلك المراكز تنتمي إلى مجموعة قد انتهت قبل الثورة بخمس سنوات، ويكتب المراقب بسخرية ملفتة أن المجموعة لم تكن على علم بهذه الأحداث، ذلك لأنّها انتهت، فالأفضل ان تطير روحها مثل الأرواح الأخرى بعيداً وتبتعد عن حرائق الأرض -في إشارة إلى نار الثورة المصرية – وعلى غرار عبد الرحمن الرافعي تثير الانتباه إلى النخب المحلية كي لا يدعو الناس بأنهم غوغائيين وليعلم أن مصر جزءا من إفريقيا وليس أوروبا -وطالما أنها في قلب الظلام، فينبغي توقع أي شيء (المصدر نفسه: ١٧٢).

في الواقع، في القسم أعلاه، فان المراقب الذي يشير إلى خطاب استعماري -تشبيه إفريقيا بقلب الظلام وتوقع ظهور أي مأساة من قلبها -يسخر من رافعي، الذي كتب ضد الحركات الثورية الأصلية وأغراه الطرس الاستعماري، وأيضا باستخدام تركيب "قلب الظلام" يشير إلى عمل يحمل نفس الاسم[8] لجوزيف كنراد، وهو أحد أبرز أعمال الخطاب الاستعماري والمناهض لشعوب إفريقيا، والذي حاول أدب ما بعد الاستعمار باستمرار القضاء على التأثير المدمر لمثل هذه الأعمال.

٤ . ٣. الطرس الإعلامي

يعد الإعلام من أقوى أذرع أي نظام فكري. يستخدم الاستعمار قدرة جميع وسائل الإعلام للسيطرة على المستعمرات وتبرير أهدافه وحتى إظهارها كونه مماثلة لمصالح السكان الأصليين. وفي هذا الصدد، يقوم المراقب بالكتابة عن اثنين من قادة الكيان الصهيوني -شارون والوزير في حكومته- شاهدهما على شاشة التلفزيون وعلى الحائط من خلفهما صورة لرجلين آخرين، وهما دافيد بن غوريون و هيرتزل ويكتب أنهم خلفوا آلاف القتلى ثم يتردد لماذا يكتب عنهم، فلماذا لا يكتب عن بوش الأب وبوش الابن والآخرين (المصدر نفسه: ١٨٢) ثم يغضب لأنه مهما حاول أن يكتب مثل أديب ما، ولا يستسلم للغضب لا تؤثر العواطف على كتاباته (المصدر نفسه) لا ينجح ويصرخ بأنه ليس أديبا ولا يريد كتابة عمل أدبي، فهو يريد فقط أن يكتب عن الرجال السمينين- من تشرشل إلى شارون ووزيره- الذين يثقل وزنهم على صدر المراقب

[Downloaded from san.khu.ac.ir on 2024-04-28]
[DOR: 20.1001.1.26767740.2022.4.1.3.8]
[DOI: 10.61186/san.4.53]

وفي الحقيقة هو يكتب عن كل هذا النظام الاستعماري والمميت الذي يهاجم حتى الأطفال ويقود الناس إلى فوهة الموت بأسوأ طريقة ممكنة (المصدر نفسه: ١٨٣).

انه يكتب عما شاهده من جرائم في التلفاز: «بأم عيني رأيت في التليفزيون قبل أيام صور الأطفال في مستشفى البصرة: الشعر المتساقط، البطون المنفتخة، آثار اليورانيوم المنضَّب في أبدان صغار ولدوا بعد الحرب بسنوات. وبعيني رأيت الجثث المتفحمة والأشلاء في جنين» (المصدر نفسه). ويضيف: ان أكبر الأدباء والرسامين في التاريخ الذين رسموا الجحيم أو وصفوه مثل المعري أو دانتي أو بيكاسو لا قدرة لهم في خلق مثل هذا الجحيم في أعمالهم: لا دانتي ولا أبو العلاء ولا بيكاسو يقدرون على تصوير هذا الجحيم. مجزرة بيكاسو مجزرة منمنمة، بحجم القرية الصغيرة التي قصفتها الطائرات، صورها ابن مالقة المارق على لوحة بعرض جدار، أحتاج جدرانا كثيرة، جمهرة من المصورين، هذا جحيم...» (المصدر نفسه). في الحقيقة فان الراوي الذي كان قد أشار فيما سبق إلى الأنشطة الإعلامية مثل صحيفة فانيتي فير أو الدعاية واسعة النطاق لليهود قبل الحرب الكونية الأولى، الآن يحاول بهذه الصور والمعلومات ان يظهر للمخاطب الجرائم المدفونة تحتها، وإخراجها من تحت أنقاض السلطة الإعلامية والدعائية للاستعمار.

ثم ينام ويرى في المنام مسرحية حول قصة معروفة لصراع بين امرأتين تدعي كل منهما بأنهما والدة الطفل، فتذهبان عند الحاكم ليحكم بينهما، لكن المسرحية التي يراها المراقب في المنام تختلف عن القصة، ذلك ان عدد الأمهات اللواتي يطرحهن نفس الادعاء يزداد وان الأم لم تتنازل حفاظا على صحة الطفل، وان الطفل يتقطع إلى أشلاء وكل امرأة تركض لكل صوب وحدب في مشهد العرض للحصول على قطعة منه (المصدر نفسه: ١٨٣-١٨٤). في الحقيقة، ان المراقب يرسم الجحيم الذي يراه في التلفاز والجحيم الذي في داخله لا يتركه حتى في المنام، وهو يبرزه أكثر دموية من الجحيم الذي قام كتاب شهيرين أو فنانون برسم ملامحه، وكابوسه هذا يشبه قصة رمزية كأن الطفل هو مصر أو فلسطين، والأمهات اللواتي يدعون ملكيته ويظهرن الشفقة عليه، هن دول الاستعمار التي تدعي دعم السلام وحقوق الإنسان.

على هذا فان المراقب وفضلا عن الدراية التامة بتاريخ الطرس الإعلامي للاستعمار الذي يمتد لقرون، يخل بخطابه عبر بث الوعي وفضح مشاريعه الخفية، وان نتائج الاستعمار المالي والثقافي والإعلامي في مصر وفلسطين تظهر بأنه كيف ينتهي على حساب السكان المحليين وكذلك ظهور السلوكيات غير الإنسانية.

الهوامش:

1. Homi Bhabha
2. Chinua Achebe

٣. عاشور في هذا الكتاب خصصت أجزاء منه إلى أهم مفكرين الدراسات ما بعد الاستعمارية مثل فرانتز فانون وادوارد سعيد وتتحدث بإسهاب عنهم. (عاشور، ٢٠١٩: ٤٧-٣٢ و٢٣٦-٢١٦).

[Downloaded from san.khu.ac.ir on 2024-04-28]
[DOR: 20.1001.1.26767740.2022.4.1.3.8]
[DOI: 10.61186/san.4.53]

٤. تتطرق عاشور في هذا الكتاب إلى أدب كتاب غرب إفريقيا وترى بان أعمالهم ناجمة عن ثراء تاريخهم وثقافتهم، ليس لأنها ظهرت كنتيجة لنضالاتهم السياسية فقط، وبطريقة ما، فإنها تجادل مع الخطاب النقدي للغرب الذي يقمع الأدب الأفريقي. (عاشور، ٢٠١٦: ١-٣).

٥. ان Comprador مفردة برتغالية تعني "المشتري". تم استخدام هذه المفردة بشكل أساسي للإشارة إلى تاجر محلي كان يعمل كوسيط بين المنتجين الأجانب والسوق المحلية. (اشكرافت وآخرون، ١٤٠١: ٨٠).

٦. انه في عام ١٨٩٥ زار فلسطين وقام بشراء الكثير من الأراضي لبناء المستوطنات وإقامة اليهود المهاجرين من كافة أنحاء العالم.

7. Daniel Defoe

٨. heart of darkness،Joseph Conrad يمكن رؤية التمثيل الأدبي لإيديولوجيها الإمبريالية في أعماله انه يرى نموذجاً مخفياً في قلب الاستعمار البريطاني، والذي يختلف عن مجرد نهب أشكال أدنى من الإمبريالية [غير البريطانية]. هذا وكانت معاملة البريطانيين مع الهنود الحمر في فرجينيا مماثلة لمعاملة بقية المستعمرين من حيث مستوى الوحشية. (Ashcroft & others, ٢٠٠٧: ٤٣).

٥. النتيجة

قد فتحت دراسة هذه الرواية باستخدام الطرس في دراسات ما بعد الاستعمار فضاءات جديدة في تحليل الرواية التي تمت دراستها وتم الخروج بنتائج، منها:

١. في هذه الرواية يتكون الطرس من ثلاثة أجزاء وهي الاقتصاد والأدب والإعلام، ويظهر كيف استطاع المستعمر في القرون الأخيرة ان يضع أعماله على أعمال السكان الأصليين السابقة، ويبرز ما قام بإنجازه كونه الحقيقة المحضة، ويمحو بهذا انتاجات السكان الأصليين في هذه المجالات كاملا، حاولت الراوية ومن خلال البحث عن جذور كيفية تكوين تلك الحالات من الطرس ان تظهر نتائجها المدمرة والمميتة للمخاطب.

٢. ان الاستعمار وبالاستفادة من السلطة الاقتصادية وفضلا عن استغلال الأراضي المحتلة، يسير حتى تغيير خارطة المنطقة، ويؤدي بالسكان الأصليين الى فقدان أرواحهم فضلا عن ثرواتهم وأراضيهم، إذ حاولت الراوية إظهار هذه القضايا في روايتها، والبحث عن مسار هذه القضايا تاريخيا حتى الوصول إلى الحالة المزرية عبر البحث عن الطبقات الدنيا للطرس الاقتصادي والبنى التحتية.

٣. ان الاستعمار ومن خلال استغلال سلطته ونفوذ النصوص الأدبية سواء خالق هذه الأعمال كان ينوي التعاون مع الاستعمار بوعي أو عن غير قصد، أم لا؛ فانه يقوم بنشر أفكار الاستعمار وقيمه، وبهذا يتمكن من الدخول في فكرة وهوية ضحاياه بشكل لا إرادي، ويسهل تحقيق أهدافه، ان الرواية تحاول إظهار استخدام الاستعمار من الأدب

[Downloaded from san.khu.ac.ir on 2024-04-28]
[DOR: 20.1001.1.26767740.2022.4.1.3.8]
[DOI: 10.61186/san.4.53]

وتوظيفه في اتجاه متناقض أو شكل من المعارض لخطابه.

٤. ان المستعمر وباستخدام الطرس الإعلامي يحقق أهدافه ولا يسمح بنشر حقائق حول جرائمه؛ إذ تحاول الراوية الكشف عنها والاستفادة من وسيلتها الإعلامية وهي الإمكانيات الكبيرة للرواية ومن خلال فضح الأهداف المدمرة لوسائل إعلام المستعمر تشرح المعلومات التي تضعها وسائل الإعلام هذه كغطاء على مستوى المجتمع المستعمر، وتنشر معاناة وموت السكان الأصليين.

المصادر والمنابع

- اشكرافت، بيل و ديگران، (١٣٩٢)، ***امپراتوری وا می نویسد***، ترجمه حاجيعلی سپهوند، تهران: نارنجستان كتاب.
- اشكرافت، بيل و ديگران، (١٤٠٠)، ***مطالعات پسااستعماری (منتخب مقالات)***، ترجمه: جمعی از مترجمان، چاپ سوم، تهران: مؤسسه مطالعات فرهنگی و اجتماعی.
- اشكرافت، بيل و ديگران، (١٤٠١)، ***فرهنگ اصطلاحات پسا-استعماری***، ترجمه: حاجيعلی سپهوند، چاپ دوم، تهران: آرياتبار.
- بشيريه، حسين، (١٣٧٩)، ***نظريه‌هاي فرهنگ در قرن بيستم***، تهران: موسسه فرهنگي آينده پويان.
- تيموسكو، ماريا، (٢٠١٠)، ***الترجمة في سياق ما بعد كولونيالي***، ترجمة: خليل كلفت، قاهرة: المركز القومي للترجمة.
- حفناوي، بعلي، (٢٠١٥)، ***البانوراما النقد النسوي في خطابات الناقدات المصريات***، مصر.
- عاشور، رضوى، (١٩٨٣)، *الرحلة*، بيروت: دار الآداب.
- عاشور، رضوى، (٢٠٠٣)، ***قطعة من أوروبّا***، مصر: دارالشروق.
- عاشور، رضوى، (**٢٠١٥**)، ***الصرخة***، مصر: دارالشروق.
- عاشور، رضوى، (**٢٠١٦**)، ***التابع ينهض***، مصر: دارالشروق.
- عاشور، رضوى، (**٢٠١٩**)، ***لكل المقهورين أجنحة***، مصر: دارالشروق.
- عاشور، رضوى، (**١٣٨٦**)، **تجربه نويسندگی من، ترجمه ياسمين احمدی، سمرقند، شماره ١٧.صص ٢٥٥-٢٦١.**
- عطية، أحمد عبدالحليم، (٢٠١٨)، ***ما بعد الكولونيالية في ما بعد الحداثة***، مصر: الاستغراب.
- مک‌لين، ايان، (١٣٨١)، ***فرهنگ علوم سياسی آكسفورد***، ترجمه حميد احمدی، تهران: ميزان.

[Downloaded from san.khu.ac.ir on 2024-04-28]
[DOR: 20.1001.1.26767740.2022.4.1.3.8]
[DOI: 10.61186/san.4.53]

References

- Ashcroft, Bill & Gareth Griffiths & Helen Tiffin, (2007), *Post-colonial studies the key concepts*. London: Routledge.
- Ashcroft, Bill & Gareth Griffiths & Helen Tiffin, (2007), *Post-colonial studies the key concepts*. London: Routledge.
- Ashcroft, Bill & Pal Ahluwalia, (2001), *Edward Said*. London: Routledge.
- Ashcroft, Bill & Pal Ahluwalia, (2001), *Edward Said*. second edition, London: Routledge.
- Ashcroft, Bill and Others (1392), *The Empire writes back*. Translated by Hajiali Sepahvand, Tehran: Narenjestan.
- Ashcroft, Bill and Others (1400), *Postcolonial studies.* Translated by a group of translators. Tehran: Institute of Cultural and Social Studies.
- Ashcroft, Bill and Others (1401), *postcolonial studies the key concepts*. Translated by Hajiali Sepahvand, Tehran: Arayan tabaar .
- Ashcroft, Bill, (2001), *Post-Colonial Transformation*. London: Routledge, second edition.
- Ashcroft, Bill, (2001), *Post-Colonial Transformation*. Second Edition. London: Routledge.
- Ashcroft, Bill, (2001), *Writing postcolonialism on post-colonial futures transformations of colonial culture*. London: continuum.
- Ashcroft, Bill, (2001), *Writing postcolonialism on post-colonial futures transformations of colonial culture*, London: continuum.
- Ashour, Radwa, (1386), *My writing experience*. Translated by Yasamin Ahmadi, Samarghand, 17: 255-261.
- Ashour, Radwa, (1983) *The Trip*. Dar el-Aadaab.

[Downloaded from san.khu.ac.ir on 2024-04-28]

[DOR: 20.1001.1.26767740.2022.4.1.3.8]
[DOI: 10.61186/san.4.53]

- Ashour, Radwa, (2003), *A piece of Europe*, Egypt: Dar el-Shorouk.
- Ashour, Radwa, (2015), *The Scream*. Egypt: Dar el-Shorouk.
- Ashour, Radwa, (2016), *The subaltern gets up*. Egypt: Dar el-Shorouk.
- Ashour, Radwa, (2019), *All oppressed have wings*. Egypt: Dar el-Shorouk.
- Atiyah, Ahmad Abd Al-Halim, (2018), *Postcolonialism in postmodernism*. Egypt: el-Esteghraab.
- Bashiriye, Hossein, (1379), *Theories of culture in the 20th century*. Tehran: Ayandeh pouyan Cultural institution.
- Hafnavi, Ba'ali, (2015), *A panorama of feminist criticism in the discourses of Egyptian women critics*, Egypt.
- McLean, Lain, (1381), *Oxford concise dictionary of politics*. Tehran: Mizan.
- Nayar, Pramod k, (2015) *The postcolonial studies dictionary*. UK: Wiley Blackwell.
- Tymoczko, Maria, (2010), *Translation in a postcolonial context*. Translated by Khalil Kalfat. Cairo, Egypt: National Center for Translation.

[Downloaded from san.khu.ac.ir on 2024-04-28]

[DOR: 20.1001.1.26767740.2022.4.1.3.8]

[DOI: 10.61186/san.4.53]

مطالعات روایت‌شناسی عربی
شاپا چاپی: ۷۷۴۰-۲۶۷۶ شاپا الکترونیک:۰۱۷۹-۲۷۱۷

پاییز و زمستان ۱۴۰۱، دوره ۴، شماره ۷، صص. ۷۳-۵۳
دانشکده ادبیات وعلوم انسانی دانشگاه خوارزمی و انجمن ایرانی زبان وادبیات عربی

وصول: ۴۰۱/۸/۱۲ پذیرش: ۴۰۱/۱۱/۴

بررسی پدیده پسا-استعماریِ "پالیمسست" در رمان «قطعۀ من أوروبّا» اثر رضوی عاشور

میلاد درویشی[1*]، زهره ناعمی[2]، سودابه مظفری[3]، صغری فلاحتی[4]

چکیده

رویکرد پسا-استعماری، آثار ادبی مرتبط با پدیده استعمار را با مؤلفه‌های گوناگونی مورد توجه قرار می‌دهد که برخی از آن‌ها نزد جامعه دانشگاهی، بیشتر شناخته شده است، مانند: هژمونی، مرکز- حاشیه، صدای فرودست و شرق‌شناسی. اما مؤلفه‌هایی که جریان پسا-استعمار را تشکیل می‌دهد، بسیار متنوع است؛ یکی از این مؤلفه-ها، پالیمْسِسْت [Palimpsest] است که به معنای نوشتن روی نوشته‌های قبلی می‌باشد. نیروهای استعمارگر که فرهنگ، ادب و زبان خود را نیز وارد مستعمره می‌کنند، آن‌ها را روی فرهنگ پیشا-استعماری ملت بومی قرار می‌دهند ولی نمی‌توانند آن را کاملا محو سازند و آثار فرهنگ پیشا-استعماری، زیر لایه‌های استعماری موجود است. فرهنگ پسا-استعماری کشورهای مستعمره، مانند پوستینی است که آثار بومیان پیشین را نیز علاوه بر نوشته متأخرِ استعماری، در بر دارد. هدف آثار پسا-استعماری می‌تواند بر ملا کردن این لایه‌های زیرین که شناسنامه فرهنگی بومیان است، باشد؛ پژوهش حاضر می‌کوشد با روشی تحلیلی-توصیفی و با استفاده از نظریه‌های اندیشمندان متأخر حوزه مطالعات پسا-استعماری چون بیل اشکرافت، لایه‌های زیرین فرهنگ محو شده بومی مصر را در رمان قطعۀ من أوروبّا اثر رضوی عاشور یافته و با تکیه بر مؤلفه‌ای کمتر شناخته‌شده در مطالعات پسا-استعماری شرح دهد تا به برداشت‌ها و تحلیل‌های جدیدی از این رمان دست یابد. نتایج این پژوهش، ضمن ایجاد فضایی جدید در تحلیل‌های پسا-استعماری در مورد رمان مذکور، نشان می‌دهد که راوی داستان، با واکاوی پالیمسست اقتصادی، ادبی و رسانه‌ای گفتمان استعمار که لایه‌های بومی را از بین برده، می-کوشد ضمن برملا ساختن اهداف استعماری آن، ارزش‌های بومی و اهداف حقیقی پنهان شده ورای آن را به مخاطبان نشان دهد و ایشان را نسبت به برساخت‌های طرح‌ریزی‌شده گفتمان استعمار برحذر دارد.

کلیدواژه‌ها: نقد پسا-استعماری، پالیمسست، روایت‌شناسی عربی، رضوی عاشور، قطعۀ من أوروبّا.

۱. نویسنده مسئول: دانش‌آموخته مقطع دکتری زبان و ادبیات عربی، دانشگاه خوارزمی، تهران؛ *mld.darvishi@gmail.com*
۲. استادیار گروه زبان و ادبیات عربی دانشگاه خوارزمی، تهران؛ *naemi.zohreh@khu.ac.ir*
۳. دانشیار گروه زبان و ادبیات عربی دانشگاه خوارزمی، تهران؛ *mozaffari_arabic@yahoo.com*
۴. استادیار گروه زبان و ادبیات عربی دانشگاه خوارزمی، تهران؛ *falahati@khu.ac.ir*

ناشر: دانشگاه خوارزمی با همکاری انجمن ایرانی زبان وادبیات عربی
حق مولف© نویسندگان

[Downloaded from san.khu.ac.ir on 2024-04-28]
[DOR: 20.1001.1.26767740.2022.4.1.3.8]
[DOI: 10.61186/san.4.53]